الوظائف ذات الأولوية في نمط الحياة الإسلامية

الباحث رشيد محمدي
ماجستير ومدرس قسم المعارف الاسلامية ، بجامعة جندي شابور الطبية
الأهواز ، الأهواز، إيران
mohamadi67rashid@gmail.com
الأستاذ المساعد الدكتور علي رادمهر (الكاتب المسئوول)
عضو الهيئة العلمية قسم المعارف الإسلامية جامعة جندي شابور الطبية
الأهواز ، الأهواز ، إيران
Radmehr-a@ajums.ac.ir
الدكتور محمود حزبه زاده
مدرس قسم المعارف الاسلامية ، بجامعة جندي شابور الطبية الأهواز ،
الأهواز، إيران
mhazbehzadeh@yahoo.com

Occupational priorities in Islamic life style

Rashid Mohammadi
Master of Islamic education group , Ahvaz Jundishpur University of Medical Sciences , Ahvaz , Iran
Ali radmehr (Responsible author)
Faculty and assistant professor of Islamic education group Ahvaz Jundishpur University of Medical Sciences , Ahvaz , Iran
Dr. Mahmoud Hazbehzadeh
professor of Islamic education group , Ahvaz Jundishpur University of Medical Sciences , Ahvaz , Iran

الملخّص :

يرتبط نمط الحياة، باعتباره أحد مصطلحات العلوم الاجتماعية، ارتباطاً وثقياً ومباشراً بمجموعة من المفاهيم. وبما أن الوظيفة والعمل أحد أهمّ أجزاء حياة الإنسان فإنّ للمدارس المختلفة وجهات نظر مختلفة حيال الوظائف والأعمال. والدين الإسلامي بدوره أيضا لديه الكثير من النصائح للوظائف المختلفة إذا ما أرادت أن تكون موافقة لنمط الحياة الذي يرسمه. علماً أن الدين الإسلامي يقَسّم الوظائف والمهن والأعمال في تقسيم عام إلي خمس فئات إذ إن كلّ مهنة ووظيفة موجودة في المجتمع والسوق لاتخرج علي أن تكون: واجبة أومستحبة أو محرمّة أو مكروة أو مباحة. كما أن الإسلام يحثّ علي الوظائف الواجبة والمستحبة وينهي عن الاشتغال بالوظائف المحرمة والمكروة. والوظائف التي توفّر دخل الأسرة والنفقات الواجبة أو تساهم في تطور المجتمع تُعَدُ من الوظائف ذات الأولوية في نمط الحياة. وبعد تتبع الأيات والروايات اتضح أن بعض المهن والصناعات اليدوية تحتل اهتماماً كبيراً بين المهن الأخري كالزراعة والتجارة وتربية المواشي والصناعات اليدوية. فإن مثل هذه الوظائف والمهن تستحق أن تُولَي الأولوية إذا ما سَنحت الفرصة لاختيار عمل يتناغم مع نمط الاحياة الإسلامي.

الكلمات المفتاحية : أسلوب الحياة الإسلامي- الوظيفة ذات الأولوية – الإنتاج - الزراعة والتجارة .

Abstract:

Life style as an expression in social science has a straight and assured relation with some collections of senses.

Job and occupation are one of the most important parts of human life and different academies have different views about it. Islam, in its specified life style , has several suggestions toward different occupations.

Islam has divided the jobs into 5 general categories. Whatever job or occupation is in the society or market, they will be included in compulsory, recommended, abominable and allowable jobs.

In Islam, compulsory and recommended jobs have been suggested and abominable and allowable jobs have been abandoned.

The jobs in which providing alimony and family income are considered as compulsory and necessary or the jobs in which the society due to its progression needs some employees to be accepted in it are considered among the occupational priorities in Islamic life style.

By searching in verses and narrations distinguished that Islam pays a special attention to some jobs including farming, business, ranching and industry.

These cases are among the most important priorities for choosing a job in Islamic life style.

Key words : Islamic life style , occupational priorities , production , farming, business .

المقدمة

إن الوظيفة التي نختارها فهي مرتبطة ارتباطاً وثيقاً ومباشراً بنمط حياتنا فهي في بعض الأحيان قد يتم اختيارها علي أساس الحصول علي المزيد من المال والثروة، وإذا كان كذلك وأنا جعلنا أساس الحياة والهدف لمستقبلنا المهني هو كسب المزيد من المال فلربما قمنا بأي نشاط من شأنه يوصلنا إلي هذه البغية. وفي المقابل فهناك أشخاص بالإضافة إلي اختيار الوظيفة التي تُكسبهم المال فإنه ينتبهون إلي فائدة تلك الوظيفة حيال الناس والمجتمع. وعلي أساس هذا فإن اختيار الوظيفة بغض النظر عن التطلعات والمواهب الفردية، يعتمد علي نوع القيم التي يتبنها الشخص، والمعتقدات التي يؤمن بها. فالمتدينون حساسون للغاية في اختيار وظيفتهم ويعتبرون العمل شكل من أشكال العبادة فيبحثون عن عمل تجاري ووظيفة من شأنها تجلب لهم خيرا الدنيا وسعادة الآخرة. ويعد تعلم التقنيات والصناعات الحديثة أمر واجب علي المسلم وأن المجتمع الإسلامي والقرآني المرغوب فية كما ينص القرآن في قوله تعالي:(وأعدوا لهم من استطعتم من قوة ورباط الخيل...) لا بد أن يكون في ذروة القوة والسلطة والاستقلالية. ومعلوم أن مراد هذه الآية يشمل كل الوسائل الضرورية التي تُخيف العدو وتَخلق فيهم الذعر والهلع. ولا ريب أن ذلك لا يمكن انجازه إلا بالعمل الكادح والجهد وإنتاج معدات عسكرية ودفاعية متطورة وما يمتّ بها صلة. ومن جانب آخر فإن قوة أي أمة من الأمم تعتمد بشكل كبير علي قدرتها في مجال الاقتصاد والتقنية وعلومها، وأن الحرب الاقتصادية والثقافية والإعلامية حلّت محل الحروب العسكرية (غل محمدي أحمد، ١٣٨١ش،ص٧٥) وبناءً علي ذلك فإن تحقيق مراد الآية ونطاقها المفهومي لا يتأتي إلا عبر تطوير المعرفة التقنية والنموّ الاقتصادي الذي يولي قطاع الإنتاج اهتماماً خاصاً (إيرفاني جواد،١٣٩١ش،ص٣٧٠) والأمر الهام الآخر أنّ الوظيفة ذات الأولوية تختلف باختلاف الوقت والظروف وعلي المتدين أن يختار تلك الوظائف التي يحتاجها المجتمع الإسلامي، ففي وقت من الأوقات كانت الطبابة هي الأولوية وفي وقت آخر تغيير الحال وأصبحت الشؤون العسكرية والدفاعية هي الأولوية فإذن الظروف هي التي تحدد الأولويات في اختيار العمل والوظيفة المنسجمة مع النمط الإسلامي. وفي هذا البحث

يحاول الباحث تصنيف الوظائف من منظار إسلامي وتقديم قائمة من الوظائف التي يوليها الإسلام العناية بشكل كبير.

الأسئلة وفرضيات البحث:

أ-أسئلة البحث:

أثيرت في هذا الصدد أسئلة منها:

هل للدين الإسلامي نصائح بشأن اختيار الوظيفة؟

هل الوظيفة لها علاقة بنمط الحياة الإسلامي؟

علي أيّ المهن يؤكد الإسلام أكثر؟

إذا كان هناك تأكيد علي بعض المهن في الإسلام فما السبب؟

فرضيات البحث:

يرتبط نمط الحياة الإسلامي ارتباطاً وثقياً باختيار العمل والوظيفة وأن الدين الإسلامي يحث علي بعض الوظائف وينهي عن بعضها كما أن هناك وظائف شجّع عليها الإسلام دون النظر إلي الزمان والوقت وأراد من المسلمين الانخراط فيها في كل الأحوال.

سابقة البحث:

موضوع نمط الحياة قد أثاره "آدلر" أول مرة سنة ١٩٢٢ثم نشره أصحابه وأتباعه ووسعوه، وقاموا بتعريفه وناقشوا تكوينه في الطفولة واتجاهاته الرئيسة ومهام الحياة الأساسية وتفاعلها مع بعض بالتفصيل، ورسموه علي شكل شجرة تبين أصوله وفروعه. كما أنهم ذكروا المفاهيم ذات الصلة بالقيم ومعرفة الإنسان (الأنثر وبولوجيا) والفلسفة وصوّروا الحياة كلها علي شكل قطعة واحدة أجزاؤها منسجمة مع بعض كل الإنسجام.

أما عن الدراسات الدينية فإنهالم تطرق كثيراً إلي موضوع نمط الحياة اللهم إلاّ ما كان متعلقاً بمكوناته كالتغذية والرياضة وأوقات الفرغة والترفيه و... أي أنه تم التطرق إلي وجهات نظر الدين بإيجاز ولم يتم القيام بأيّ عمل شامل ولم يتم تقديم أيّ نموذج

يشمل جميع أبعاد أسلوب الحياة الإسلامي، هذا أولاً ، كما أنه لم يتم ملاحظة التماسك والتناغم فيما بين هذه الأبعاد.

فيما يلي نشير إلي بعض الأمثلة للأعمال والدراسات المتقطعة وغير الشاملة في هذا الشأن:

درس إيرفاني، جواد (١٣٨٤) الأخلاق الاقتصادية من منظور القرآن والحديث.

بَحَثَ أميني، إبراهيم (١٣٩٣) وجهة نظر الإسلام حول اكتساب الثروة واستهلاكها.

مادوي تهراني، مهدي (١٣٨٨) درس الهيكل العام للنظام الاقتصادي الإسلامي من منظور القرآن.

إبراهيم نجاد، محمد رضا (١٣٩٢) درس برنامج ممارسة الكسب والتجارة في سوق الإسلامية.

ميرعماد، سيد أحمد (١٣٩٠) أجري أبحاثاً حول الاقتصاد في الإسلام.

في هذا البحث تمت مناقشة نمط الحياة الإسلامي بشكل خاص في بعض القضايا بالرجوع إلي الآيات والأحاديث وقد تم تبين المعيار الإسلامي في هذه العلاقات.

تعريف الوظيفة ذات الأولوية:

من أجل الوصول إلي الكمال المنشود يجب علي الإنسان أن يعمل ويجتهد. والعمل ليس مختصاً بالأمور المادية والدنيوية بل إنه يمكن أن يكون وسيلة لقيادة الإنسان إلي الآخرة الطيبة بالإضافة إلي الدنيا. وفي الأساس إذا كان العالم هو مزرعة الآخرة (الديلمي، ١٤١٢ق، ج١،ص٨٩) فإن جزءاً من هذه المزرعة هو العمل والوظيفة. ونحن دائماً نسأل الله خير الدنيا والآخرة معاً (البقرة/٢٠١). وبالرغم من أن كلمة (شغل) التي تعني العمل والوظيفة فإن لها معاني أخري كالقتال والحرب والحرث والزراعة إلا ما نعنيه هنا هو المعني التقليدي أي المهنة والعمل والفعل. وقد وردت في القرآن الكريم آيات كثيرة تستخدم هذه المفردة بمعني العمل والمهنة،هذا وإن لم يتم استخدام لفظة (شغل) بالتحديد (الأعراف آية/١٠، هود/٦١، النبأ/١١)كما أن هذه المفردة وردت في القرآن بمعني الاشتغال بالشيء واللهو به (الفتح/١١،يس/٥٥).

في الإسلام تعد الأعمال المفيدة للمجتمع والأفراد مباحة ويجوز القيام بها وكسب المال منها (نوري، ١٤٠٨ق، ج١٣،ص٦٥) إلا أن كسب المال من خلال أعمال غير شرعية وغير نافعة للمجتمع والفرد كالربا (البقرة/٢٧٥) والحتكار (نوري،١٤٠٨ق،ج١٣،ص٦٥)، والتطفيف (المطففين/٣٠١) والرشوة وأكل مال اليتيم (النساء/١٠) وصنع وسائل وأدوات القمار واللهو والشراب (المائدة/٩٠) والسرقة، والتعاون مع الظلمة والغش في المعاملة والسحر والقِوادة والأعمال التي تسبب الضرر للمسلمين وتصبّ في مصلحة الكفار؛ محظورة تماماً. كما أن من بين الأعمال المباحة تعتبر الأعمال الأكثر صعوبة أو أكثر مشقة أكثر قيمة.

ثم إن الدين الإسلامي يقسم الأعمال في تقسيم عام إلي خمس فئات لا يمكن لأي عمل أو وظيفة أو منهنة أن تخرج عن هذا الفئات وهي: الواجب والمستحب و المحرم والمكروه والمباح.

والآن نشرح كل واحد من هذه المفاهيم بإيجاز:

أ-العمل الواجب

هو كل عمل أو مهنة منسجمة مع ما يرضي الله وتوفّر للفرد المسلم والمجتمع الإسلامي الحياة العادية والنزيهة والمشرفة والكريمة. علماً أن هذا العمل الواجب قد يكون واجباً فرديّا (أي واجبا عينيا) أو جماعيا و(واجبا كفائيا). والفرق بين الواجب العيني والوجب الكفايي هومايلي:

١-الواجب العيني:

هو أن يكون توفير الاحتياجات المختلفة للفرد وتوفير نفقة الزوجة والأطفال بشكل عام مرهوناً بوظيفة معينة ففي هذه الحالة فإن مزاولة ذلك العمل والمهنة واجب عيني علي الشخص.

٢-الواجب الكفايي

في المقابل هناك بعض الوظائف والمهام تُعّد من قبيل الواجب الكفائي. فعلي سبيل المثال فإنّ تعلم الأساليب العسكرية للدفاع ضد العدو وصّده من التسلل والسيطرة علي المجتمع والوطن الإسلامي وكذلك تعلم علوم الطلب والإدارة والسياسة وما إلي ذلك

كله يعدُّ مِن النوع الواجب الكفايي إذ إنّ المجتمع لا يحقق الاستقلال والحرية والصحة والثقافة المطلوبة وما إلي ذلك من دون تعلم هذه العلوم والتقنيات.

٢-الأعمال المستحبة

هي التي تكون نتيجتها نافعة للمؤمنين، علماً أن هذه الفائدة والنفع قد تكون لأجل سعادة الفرد وصحته أو للسعادة المجتمع وتطّوره. مع العلم أن الوظائف والأعمال المستحبة قد وردت في آيات القرآن الكريم وروايات المعصومين (عليهم السلام)بشكل عام أو خاص (إبراهيم نجاد محمد رضا،١٣٩٢ش،ص١٤٦).

٥-الأعمال المحّرمة

وهي تلك المهن والأعمال التي ينهي الدين عن القيام بها وأن لها آثارا وعواقب أليمة في الدنيا والآخرة. وقد نصّت الآيات والروايات عن المهن المحرمة، منها: بيع وشراء المشروبات المسكرة وأدوات القمار والثروات وبيع الأصنام والسحر.

٨-الأعمال المكروهة

المكروه هو في مقابلة المستحب والعمل المكروه هو كل عمل أو مهنة تكون عوائدها ضارة بشكل ما. والضرر الناجم عنها إما فردي أو اجتماعي أو روحي أو مادي أو أخلاقي أو ثقافي أو سياسي. وعلي سبيل المثال فإن بيع الأكفان والصرافة والجزارة وبيع الرقيق من ضمن الأعمال المكروة. (العاملي،١٤٠٩ه الجزء١٩،ص١١٢).

١٠-الأعمال المباحة

هي كل وظيفة أو عمل لا ينتمي إلي الأعمال الآنفة والمذكورة أعلاه (إبراهيم نجاد محمد رضا، ١٣٩٢ش،ص١٦٥). وهي الأعمال التي يكون توفير دخل الأسرة الواجب مرهوناً بها أو أن المجتمع الإسلامي يحتاجها ليتطور وليرتقي كما أن هكذا أعمال تعتبر من الأعمال والوظائف ذات الأولوية في الدين الإسلامي. وإذا وُجدت أعمال علي نحو الواجب الكفايي فعلي جميع المكلفين الانخراط فيها وهذه الأولويات قد تكون مختلفة حسب الزمان والمكان إلا أننا في هذا البحث نتطرق إلي المشاغل والوظائف ذات الأهمية في كل الأوقات وقد أكدت الآيات والروايات علي أهميتها.

يولي الإسلام بعض الأعمال اهتماماً خاصاً وكما أنه معلوم فإن الإسلام يحث دائماً علي الأعمال ذات الإنتاج التي تنفع البشرية وينهي علي الأعمال التي تسبب

الفساد والأضرار للمجتمع. ونحن في هذا القسم من بحثنا نشير إلي تلك الأعمال التي نصّ عليها الدين الإسلامي في الآيات والروايات:

١-الزراعة

يعَدّ الإنتاج هو العنصر الأساسي لكسب المال وقد ذكر القرآن الكريم في الكثير من الآيات والروايات أنّ الله خلق ما في الأرض جميعاً للبشر وطلب منه إعمار العالم بعد ما وهبه كل تلك النعم، وشذذذذذجعّه علي أن يقوم بتلبية احتياجاته المعيشية وبين له أهمية كل ذلك بطرق وأساليب متعددة (إيرفاني جواد،١٣٩٠ش،ص٦٣).

والزراعة من المهن التي اعتني بها القرآن والروايات كثيراً وأوصت بمزاولتها وقد اُعتبرت واحدة من المهن المقدسة عندالله لأنها توفر غذاء المجتمع وينشأ عنها إعمار الأرض كما أنها مهنة الأنبياء (عليهم السلام). قال تعالي في هذا الشأن (ولقد مكنا كم في الأرض وجعلنا لكم فيها معايش...) (الأعراف/١٥) وذكر أيضاً (...هو الذي أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها...(هود/٦١).

وإعمار الأرض واستعمارها في اللغة هو: ترك الأرض للإعمار (راغب الإصفهاني ،١٤١٢ق،٥٨٦) إذن فإن الأرض لم تُخلق عامرة وذات نعم وافرة وجاهزة وإنما يجب علي الإنسان أن يعمرها بجهده وعمله وعبر استخدامه إمكانيات الإنتاج، ويلبي حاجاته بعد ما استعمرها.

وبالتالي فإن كل عمل وإنتاج يؤدي إلي إعمار الأرض، في الحقيقة يعتبر منسجماً مع الإرادة الربانية ومظهرا من مظاهر العبودية ولا يمكن في أيّ حال اعتباره مذموماً أو عديم النفع أو مخالفاً للقيم.(إيرفاني جواد،١٣٩٠ش،ص٦٥).

وقال عليّ (عليه السلام) في تفسير هذه الآية: (إعلم أن الله أمر الناس بإعمار الأرض بالزراعة حتي يوفروا طعامهم من الحبوب والفواكه وكل النباتات ويعيشوا في هنأ ورخاء (حكيمي، محمد رضا،١٣٨٠ش، ج٥، ص٣٩٤). وقال الصادق (عليه السلام): (ما في الأعمال أحب إلي الله تعالي من الزراعة وما بعث الله نبياً إلا زراعاً إلا إدريس) (محمدي ري شهري،١٣٩٣ش،ص٣٣٦) وقال أيضاً (الزارعون كنوز الأنام يزرعون طيباً أخرجه الله عزّ وجلّ وهم يوم القيامة أحسن الناس مقاماً وأقربهم منزلة يدعون المباركين) (الشيخ الحر العاملي، ١٤٠٩ق، ج١٣،ص١٩٤).

والزراعة من أكثر المهن حلالاً. وقد بذل الإمام عليّ (عليه السلام) جهوداً كبيرة لنشرها وتنميتها بالإضافة إلي امتهانها بنفسه. حتي أنه لما وصل إلي الخلافة أولي هذه المهنة عناية كبيرة وقد أصدر أوامرهُ إلي عماله بالعناية بحال المزارعين وجباة الضرائب وقد جاء في رسالته إلي مالك:

(وليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ في نظرك في استجلاب الخراج لأنّ ذلك لايدرك إلا بالعمارة، ومَن طلب الخراج بغير عمارة أخرب البلاد وأهلك العباد ولم يستقم أمر. إلا قليلاً فإن شكوا ثقلاً أو علة أو انقطاع شرب أو بالة أو حالة أرض اغتمرها غرق أو اجحف بها عطش، خففت عنهم بما ترجوا أن يصلح به أمرهم ولا يثقلن عليك شيء خففت به المؤونة عنهم فإنه ذخر يعودون به عليك في عمارة بلادك وتزيين ولايتك (الشريف الرضي،١٤١٤ق،ص٤٣٦).

ووفقاً لوصايا الإسلام بشأن الأرض والماء فإنه يجب إعمار كل الأرض وأن ينعم كل الناس من عطايا الله ونعمه ولا يحرم أحد منهم مع وجود الماء والتراب. وقد قال عليّ (عليه السلام): (مَن وَجَدَ ماءً وتراباً ثم اختصر فأبعده الله) (الحميري ١٤١٣ق،١١٥)

نعم إن الإسلام يعتبر الزراعة مهنة مقدسة وأن المزراع أشرف الناس وعائده وكسبه أفضل الكسب والمال، لكن هناك شرط وهو أن يؤتي الإنسان حق الزراعة من زكاة وغيرها يوم الحصاد.

التجارة:

ومن المهن الهامة الأخري التي أولاها الرسول الكريم صلي الله عليه وآله اهتماماً خاصاً هي التجارة وقد مارسها بنفسه في شبابه. وبسبب اهميتها يعود إلي أن التجار يأخذون بضائع الناس للبيع في أماكن أخري حتي يوفروا ما الناس إليه بحاجة.

ومفردة التجارة أو التجار في اللغة هي: استثمار رأس المال لتحقيق الربح (راغب الأصفهاني،١٤١٢ه،ص٦٩)، وفي الاقتصاد تعتبر من المهن الخدمية المسؤولة عن توزيع البضائع المنتجة كما أنّ التاجر يقوم بشراء السلع التي يحتاجها الناس من المنتجين ويقدمها لأصحاب الطلب.(اَحمد زكي بدري،بي تا،ص٢٨٧).

وفي المجتمعات البشرية ومع التقدم المتزايد للتكنولوجيا وتزايد الاحتياجات فلا يمكن للجميع توفير احتياجاتهم أو أن ينتجوا كل ما يحتاجونه بأنفسهم إذ ليس من المناسب أن

يقدموا علي مثل ذلك اقتصادياً، ومِن ثَمَّ فقد قامت مجموعة من الناس بتبادل السلع والخدمات والأعمال التجارية.

ويعتبر النبي(ص) هو أول من استخدم تسمية(التاجر)لأهل لذووي الصناعات والسوق. وهذا الأمر يدل علي اهتمام النبي(ص)بهذه المهنة وأصحابها.(إبراهيم نجاد،١٣٩٢،ص٢٠)

ويروي قيس المغفاري أحد أصحاب الصناعات في المدينة أن سبب تسمية التجار بهذه التسمية قائلا: نحن أصحاب الصناعات كنا نُسّمي السماسرة في زمن النبي(ص) (أي في بداية عهد النبي)، لكن لما قدم النبي(ص)إلي المدينة سمّانا بأفضل من ذلك وقال: أنتم يا جماعة التجار...)(النوري،١٤٠٨ق،ج١٣،ص٢٥١).

ويمكن ملاحظة الاهتمام بالتجارة وقواعدها في الآيات التالية:

- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ﴾(النساء\٢٩)
- ﴿ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَنۡ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾(البقرة/٢٧٥)
- ﴿ ۞ أَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُخۡسِرِينَ ١٨١ وَزِنُواْ بِٱلۡقِسۡطَاسِ ٱلۡمُسۡتَقِيمِ ١٨٢ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴾ (الشعراء/١٨١_١٨٢)

ومما يشير إلي أهمية هذا العمل أن الله سبحانه قد بين قوانينها وقواعدها في القرآن الكريم من بين كل المهنة الأخري. كما أن هناك الكثير من الأحاديث التي بيّنت مكانة التجارة بشكل عام أو جزئي وأنّ بعض الروايات تناولت ما يجب وما لا يجب فعله في هذه المهنة، نشير إلي بعضها:

قال الإمام الباقر (عليه السلام): إن رسول الله صلي الله عليه وآله قال: البركة عشرة أجزاء تسعة منها في التجارة والعاشر في الخروف،(ابن بابوية،١٣٦٢ش،ج٢،ص٤٤٥).

وقال عليّ (عليه السلام) : (تاجروا فإن الغني والاستغناء في التجارة) (ابن بابويه ،١٣٦٧ ش ، ج٣ ، ص١٩٣).

وقال الصادق (عليه السلام): (التجارة تجلب الربح) (الشيخ الحر العاملي ،١٤٠٩ق،ج١٧،ص١٢)كما أنه ورد في رواية أخري عن الصادق (عليه السلام): (لاتتركوا التجارة وأسألوا الله من فضله ونعمه. (الشيخ الحر العاملي ،١٤٠٩ق ،ج١٧، ص١٦).

وقال الإمام الرضا (عليه السلام):(مَن أراد البيع والشراء فليتجنب خمساً: الربا والحلف، واخفاء عيب البضاعة ومدح البضاعة عند البيع وذمها عند الشراء) (حديث منسوب إلي علي بن موسي الرضا،١٤٠٦ق،ص٢٥٠).

وقال الصادق (عليه السلام): (ثلاثة يدخلهم الله الجنة بلا حساب: الإمام العادل والتاجر الصادق ورجل مسن قضي عمره في طاعة الله (ابن بابويه،١٤٠٦ق،ص١٣٣).

وبعد أن تم ذكر الآيات وأحاديث النبي(ص) والأئمة التي أولت هذه المهنة اهتماماً فيجدر بنا أن نذكر كلام علي(عليه السلام)الرائع بشأن هذه المهنة حيث قال في إحدي فقرات رسالته إلي مالك والي مصر عن أهمية ومكانة التجار وأهل السوق:

(لاقوام لهم جميعاً أي القضاء والعمال والشرطة.. إلا بالتجار وذوي الصناعات فيما يجتمعون عليه من مرافقهم ويقيمونه من أسواقهم ويكفونهم من الترفق بأيديهم مالا يبلغه رِفقَ غيرهم(الشريف الرضي،١٤١٤ق،ص٤٣٢).

ويذكر (عليه السلام) في فقرة أخري من عهده إلي مالك أن يرفق العمال بالتجار وأهل الصناعات ثم يذكر دليل ذلك:

(الشريف الرضي،١٤١٤ق،ص٤٣٨).

وتجدر الإشارة إلي أن علياً أيضا ذكر في هذه الرسالة بعض صفات التجار وسلوكياتهم المذمومة كالحرص والضيق والاحتكار كما أنه بين كيفية التعامل مع هذه الصفات وأهمية التصدي لأصحابها. وكل هذا يبين أهمية مكانة التجار وأهل الصناعات في المجتمع.

٣_تربية المواشي

قال تعالى﴿ وَٱلۡأَنۡعَٰمَ خَلَقَهَاۚ لَكُمۡ فِيهَا دِفۡءٞ وَمَنَٰفِعُ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ﴾(النحل/٥)

فيشير الله تعالي في هذه الآية إلي تربية المواشي والمنافع التي يجلبها الإنسان من وراءها كالصوف واللحوم. وعلي أساس هذا تعتبر تربية المواشي من الأنشطة الإقتصادية الموصي بها في الإسلام.

وقال تعالي ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمَ لِتَرْكَبُوا۟ مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ (غافر/٧٩).

وقال تعالي: ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾

كما أنه حثت الأحاديث الواردة عن أهل البيت (عليهم السلام) بالاهتمام بتربية الحواشي:

قال رسول الله صلي الله عليه وآله:(عليكم بتربية الأنعام والزراعة فإنها تجارة لاتخسر..)(ابن بابويه،١٣٦٢ش،ج١،ص٤٥)

وقال الصادق (عليه السلام).(..سُئل رسول الله..أي المال أفضل بعد الزراعة. قال:مال رجل له أغنام يذهب بها لترتع...ثم سئل يارسول الله وأيها أحسن بعد الأغنام؟ قال:البقر فإنها تجلب الربح ولاتخسر)(ابن بابويه،١٣٦٢ش،ح١،ص٢٤٦)

وقال الصادق (عليه السلام):(...عُلّم ابن آدم ما يصلح به معاشه ودنياه كالزارعة وتربية الأغنام والمواشي..). (المفضل بن عمره بي تا،ص٨١).

٤_الصناعات و(الحرف)

بعض احتياجات البشر لايتم تلبيتها إلا من خلال الصناعة. قال الصادق (عليه السلام):جعل الله رزق الناس في الأعمال المختلفة والصناعات المتعددة لأن هذا أثبت لبقاء البشر وأصح لتدبير شؤونهم(الطبرسي،١٤٠٣ق،ج٢،ص٣٤١)

ويذكر القرآن الكريم بعض الصناعات التي مارسها الأنبياء (عليهم السلام). قال تعالى ﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ ﴾ (المؤمنون/٢٧)

وقال تعالى: ﴿ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴾ (الأنبياء/٨٠)

وجاء في عهد علي (عليه السلام) لمالك الأشتر والي مصر حيث يوصيه بالتجار وأهل الصناعات قائلا : (ولا قوام لهم جميعاً إلا بالتجار وذوي الصناعات فيما يجتمعون عليه من مرافقهم ويقيمونه من أسواقهم ويكفونهم من الترفق بأيديهم ما لايبلغه رفق غيرهم (الشريف الرضي،١٤١٤ق،ص٤٣٢).

وبالطبع تجدر الأشارة إلي أن الصناعات تنقسم إلي قسمين:

الصناعات الحلال والصناعات الحرام، ومرادنا في هذه التوصيات وما ورد في البحث كما هو واضح، هي الصناعات الحلال كما جاء ذلك في حديث عن الصادق (عليه السلام) ما مضمونه: (الصناعات التي يتعلمها الناس أو يعلمونها للآخرين مثل الكتابة والمحاسبة والأعمال التجارية وصياغة الذهب والسرج وعمليات البناء والنسيج وما إلي ذلك...وأنواع الأدوات التي يحتاجها الناس في حياتهم فهذا كله حلال ويجوز تعلمه وتعليمه للآخرين وأما الصناعات التي لايتم استخدامها إلا في الحرام ولا خير فيها، فيحرم تعليمها وتعلمها وممارستها..(ابن شعبه الحراني،١٣٧٦ش،ص٣٣٥).

وهناك بعض المهن قد وردت الروايات بالحث عليها لكننا هنا ومن أجل الايجاز نكتفي بهذا القدر ولا نتطرق لها. لكن ينبغي القول إن المهن التي تم ذكرها هي من المهن ذات الأولوية إذا ما قيست بغيرها وذلك بحسب متابعة الآيات والروايات. علماً أن تناول الوظائف ذات الأولوية في المجتمع الإسلامي له تأثير ونتائج خاصة نتعرف عليها هنا:

_توفير الاحتياجات المادية

إن تلبية الأحتياجات وعدم الحاجة إلي الآخرين مِن أهمّ أهداف العمل والأنشطة الإنتاجية وتؤكد روايات كثيرة (الحر العاملي،١٤٠٩ق،ج١٢،ص١١) علي أن العمل والإنتاج ومحاولة توفير نفقات المعيشة للفرد نفسه أو لأسرته وأولياء أمره وكذلك توفير نفقات صلة الرحم والضيافة هو جهاد في سبيل الله، وهو أمر من شأنه أن يكون حافزا للعمل والإنتاج عند المسلم.

ب_تحقيق الإزدهار النسبي

يتم التأكيد علي الإنتاج في رؤية إسلام الإقتصادية ليس فقط لتلبية الاحتياجات الأساسية والأولية بل لتحقيق الازدهار النسبي والرخاء في الحياة أيضاً.

والقرآن الكريم بعد تأييده أن الرخاء أمر مستحسن ومنشود راح يعدد النعم التي وهب الله للإنسان ليقلل من معانته ويزيد من رخاءه، فعلي سبيل المثال قال تعالى: ﴿ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝٥ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ۝٦ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ ﴾ (النحل/٧_٥). كما أنه يبشر بوسائل توفر الرخاء أكثر في المستقبل وإن كانت في زمن نزول القرآن مجهولة وذلك كقوله تعالي: ﴿ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (النحل/٨)فهذه العبارة القرآنية تشير إلي المركبات في الزمن الراهن التي هي من صنع البشر، هي أيضا من خلق الله وصنعه لأن الله هو الذي خلق عوامل الإنتاج والمواهب البشرية التي صنعتها.(مكارم الشيرازي ،١٣٧٤ش،ج١١،،ص١٦٢)

وهكذا يتضح إن الله يريد تحقيق الرخاء للبشر، وأنه من المرغوب فيه أن يتمكن الإنسان بنفسه من إنتاج سلع رفاهية تجعل الحياة أسهل.

ج_الاكتفاء الذاتي واستقلال المجتمع

الغرض من الأكتفاء الذاتي هو أن يتمكن المجتمع من إنتاج السلع والخدمات التي يحتاجها ويرغب فيها خاصة البضائع الأساسية، وأن لايعتمد علي الأجانب حتي وإن كان قادرا علي إنتاجها إلا أنه يؤثر استيرادها لأن تكلفة الاستيراد أقل من الإنتاج. ويتطلب الأكتفاء الذاتي والاستقلال؛ الكمية الكافية من الانتاج والنوعية المرغوبة إذ إن الاكتفاء بالإنتاج المحلي الصغير أو غير المرغوب فيه لايمكنه أن يؤدي إلي استقلال البلاد.

ومن هذا المنطق يأمرنا القرآن الكريم أن نستخدم كل طاقتنا لتحقيق الاستقلال والسلطة الكاملة: قال تعالي ﴿ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ۝٦٠ ﴾(الأنفال/٦٠) ومعلوم أن القوة لاسيما في العصر الحاضر يكمن في القوة الإقتصادية وفي ضوء ذلك تتحقق السلطة والاستقلال السياسي والعسكري والثقافي.

لذلك فإن إنتاج الفكر والتكنولوجيا والسلع والخدمات يفهم من المعني الكامن في قوله تعالي(و أعدو لهم مااستطعتم...)وأن تحقيق الكرامة والاستقلال علي المستوي العالمي هو أحد الأهداف الرئيسية للإنتاج في الإسلام(إيرفاني جواد،١٣٩٠ش،ص٧٩).

_المشاركة في الخدمات الاجتماعية

تعد المشاركة المالية في الخدمات الاجتماعيه وخاصة رعاية المحرومين والمحتاجين في المجتمع من الأهداف العليا للأنشطة الإنتاجية. وهذه المشاركة كانت بارزة في حياة الأولياء فعلي سبيل المثال، ورد في العديد من الروايات أن أميرالمؤمنين (عليه السلام) كان ينفق معظم دخله الزراعي والبستاني علي الأيتام والفقراء وفي سبيل تحرير رقاب العبيد(محمد بن يعقوب الكليني،١٣٦٣ش،ج٥،ص٧٤)وفي بعض الأحيان يوقف مزارعه وبساتينه لخدمة الناس عامة(محمد بن يعقوب الكليني ،١٣٦٣٣ ش،ج٥،ص٥٤_٥٥). ويبدو أنه حسب الروايات والتقارير التاريخية فإن أهم أهداف المعصومين (عليهم السلام) هو تحقيق هذا الأمر، وقد نُقل في هذا الشأن عن الرضا (عليه السلام) عن علي بن الحسين (عليه السلام) أنه قال: (أنا لا أزرع من أجل الدخل بل لمساعدة الفقراء والمحتاجين..)(محمد باقر المجلسي،١٣٦٤ش،ج١٠٠،ص٦٧)

ويعتبر الاختلاف في الأهداف والدوافع من السمات المميزه للعمل والانتاج في الاقتصاد الإسلامي والأديان الأخري وخاصة المدرسة الرأسمالية لأن الغرض من الإنتاج في المدرسة الرأسمالية هو فقط زيادة الربح الاقتصادي وكسب دخل أعظم(عبادي،١٣٧٠ش،ص١٦_١٧) في حين أن المدرسة الإسلامية لها أهداف مادية وأيضا روحية من الإنتاج وتحث اتباعها علي اتخاذ خطوة في هذا الاتجاه.

والقرآن الكريم نظراً إلي اهتمامه بأولويات المسلمين وحاجاتهم، طلب من بعضهم أن ينفروا للتفقه في الدين ولتلبية احتياجات المجتمع ومنع أن ينخرط جميعهم في الجهاد ويتركوا هذا الأمر. (التوبة/١٢٢)

وهذا الأمر يشير إلي مدي اهتمام القرآن الكريم بجميع المتطلبات ونبذه الأحادية وتجنبها. وبالتالي لايصح التخلي عن بعض الصناعات والمنتجات المطلوبة والعناية فقط بجزء محدد. ولذلك فقد اعتبر الفقهاء أنّ أيّ وظيفه يحتاجها المجتمع فهي واجبة (مرتضي المطهري،١٣٧٣ش،ج١،ص١٦_١٨).

وتجدر الإشارة أيضاً إلي أن من وجهة نظر القرآن الكريم فإن معيار الأولوية في مجال الإنتاج هو المصلحة العامة للمجتمع وكما جاء في القرآن في إشارته إلي أهمية الحديد في الانتاج:(وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس)(الحديد/٢٥) فقد اتضح إن قوله تعالي(فيه بأس شديد) يشير إلي أهمية الحديد في الصناعة الدفاعية وقوله (فيه منافع للناس) يبين الفوائد العائدة علي الناس من خارج الصنائع الدفاعية. وتأكيد الروايات علي أهمية إنتاج السلع الأساسية مثل الأنشطة الزراعية والحيوانية هو دليل علي هذا الادعاء(الطوسي،١٤٠٧ق،ح٦،ص٣٨٤). في حين أن المنتجين في الاقتصاد الرأسمالي من دون الالتفات إلي الاحتياجات الحقيقة للمجتمع يسعون فقط إلي إنتاج السلع الأكثر ربحاً فقط ولا يلتفتون إلي غير هذه البغية إلا أن المنتج المسل وكما اتضح، يفكر في احتياجات ومصالح المجتمع أكثر مما يفكر في الدخل المادي.

النتائج:

بعد تتبع الآيات والروايات الإسلامية اتضح أنه من أجل الحصول علي نمط حياة أسلامي يجب الانتباه إلي تقسيم الوظائف حسب المعتقد الإسلامي واختيار الوظائف المشروعة وتجنب المحرمة.

إن العمل والوظيفة تعتبر فعلاً بشرياً كسائر الأفعال الأخري من شأنه أن يدمر سعادة البشر في الدنيا والآخرة. وعلي أساس هذا فإن العمل والوظيفة حسب أسلوب الحياة الأسلامي له كبير أهمية.

ومن بين المهن التي يجيزها الإسلام فهناك مهن تم التشجيع علي ممارستها أكثر كالزراعة وتربية المواشي والتجارة والحرف اليدوية. فالغرض من إعطاء بعض الوظائف مكانة أكبر في أسلوب الحياة الإسلامي هو: الوصول إلي الاكتفاء الذاتي والاستقلال وتحقيق الازدهار النسبي وتلبية الاحتياجات الأساسية والمشاركة في الخدمات الاجتماعية.

قائمة المصادر والمراجع

إن خير مانبتديء به القرآن الكريم

- إبراهيم نجاد ، محمد رضا- أخلاق الحبيب، الطبعة الأولي، ميثاق كتاب، قم، ١٣٩٢ش.

- ابن بابويه ، محمد بن علي، الخصال، غفاري على اكبر، اول، جامعه مدرسين، قم، ١٣۶٢ ش
- _____، من لا يحضره الفقيه، ترجمة غفارى، على اكبر، الطبعة الأولي، دار نشر الصدوق، طهران، ١٣۶٧ ش
- _____، ثواب الأعمال و عقاب الأعمال، الطبعة الثانية، دار الشريف الرضي للنشر، قم، ١۴٠۶ ق
- ابن شعبه الحراني، حسن بن على، تحف العقول، ترجمة كمرەاى، محمد باقر، تصحيح غفارى، على أكبر، الطبعة السادسة، كتابچى، طهران، ١٣٧۶ ش
- الراغب الاصفهاني، مفردات الفاظ القرآن، الطبعة الأولي، دار العلم، لبنان، ١۴١٢ ق
- ايرفاني، جواد، الأخلاق الإقتصادية من منظور القرآن والحديث ، الطبعة الثانية، آستان قدس رضوي، مشهد، ١٣٩٠ ش
- _____، التعرف علي الاقتصاد الإسلامي، الطبعة الأولي، آستان قدس رضوي، مشهد، ١٣٩١ ش
- حكيمى، محمدرضا وآخرون، الحياة، ترجمة آرام، أحمد، الطبعة الأولي، مكتب نشر الثقافة الإسلامية، طهران، ١٣٨٠ش
- الحميري، عبد الله بن جعفر، قرب الإسناد، مؤسسة آل البيت (عليهم السلام)، الطبعة الأولي، مؤسسة آل البيت (عليهم السلام)، قم، ١۴١٣ ق
- زكي بدوي، أحمد، معجم المصطلاحات الاقتصاديه، دارالكتاب، قاهره، بي تا
- الشريف الرضي، محمد بن حسين، نهج البلاغة، ترجمة صالح، صبحي، الطبعة الأولي ، هجرت، قم، ١۴١۴ق
- الطوسى، محمد بن الحسن، تهذيب الأحكام، تصحيح: خرسان، حسن الموسوى، الطبعة الرابعة، دار الكتب الإسلاميه، طهران، ١۴٠٧ ق
- عبادي، جعفر، مباحثي در اقتصاد خرد، الطبعة الأولي، سمت، طهران، ١٣٧٠ ش
- العاملى، حر، محمد بن حسن، وسائل الشيعه، الطبعة الأولي، مؤسسة آل البيت (عليهم السلام)، قم، ١۴٠٩ ق
- الكلينى، محمد بن يعقوب، مختصر الكافى، ترجمة بهبودى، محمد باقر، الطبعة الأولي، مركز الانتشارات العلمية والثقافية، طهران، ١٣۶٣ ش

- غل محمدي، احمد، جهاني شدن، فرهنگ، هويت، الطبعة الأولي، نشر ني، طهران، ١٣٨١ ش
- المجلسى، محمد باقر بن محمد تقى، بحار الأنوار ترجمة جلد ٦٧ و ٦٨، ترجمة الموسوي الهمذانى، الطبعة الأولي، مكتبة مسجد ولى عصر، طهران، ١٣٦٤ ش
- محمدي ري شهري، محمد، مختصر ميزان الحكمه، ترجمة شيخي، حميدرضا، الطبعة الأولي، دارالحديث، قم، ١٣٩٣ ش
- المطهري، مرتضي، آشنايي با علوم اسلامي، الطبعة الثالثة عشرة، صدرا، طهران، ١٣٧٣ ش
- المفضل بن عمر، توحيد المفضل، مظفر، كاظم، الطبعة الثالثة، داوري، قم، بي تا
- مكارم شيرازى، ناصر، تفسير الأمثل، الطبعة الأولي، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٧٤ ش
- منسوب إلي على بن موسى، الإمام الثامن (عليه السلام)، الفقه المنسوب إلى الإمام الرضا (عليه السلام)، الطبعة الأولي، مؤسسة آل البيت (عليهم السلام)، مشهد، ١٤٠٦ ق
- النورى، حسين بن محمد تقى، مستدرك الوسائل و مستنبط المسائل، الطبعة الأولي، مؤسسة آل البيت (عليهم السلام)، قم، ١٤٠٨ ق